

القبائل والقراءات

الأستاذ عبد الستار أحمد فراج

- ٢ -

نكمت^(١) في المقال السابق عن تميم مشيراً إلى أنها كانت تسكن جزءاً من نجد .

وأذكر أنها مع القبائل التي تجاورها بشتراكون في بعض اللهجات ، وإذا ما وردت لهجة في كتب النحو والقراءات واللغة خاصة بتجدد كانت شاملة ضمناً لها . كما ينبغي أن تشترك القبائل النجدية الأخرى فيما يذكر لهذه القبيلة ، لتجاورهم في السكن وقرب اتصالهم . وتميم شاركت أحياناً قبيلة أسد لجاورتها لها من ناحية وشاركت بكر بن وائل من ربيعة لجاورتها لها من ناحية أخرى وشاركت لحا المتأثرين بالفرس لجاورتها لهم من ناحية ثالثة ، وما ذلك إلا لأن تيمناً منها بطون كثيرة كعبور وطهية ودارم ومازن وحنظلة . وقد تنفرد كل قبيلة بجاورة لتيمم بما يؤثر عنها من لهجات وذلك ما نراه حدثاً حتى الآن في بلدان متجاورين من اختلاف في معاني الألفاظ أو طريقة أداء الكلمات . وسأعرض للهجة كل قبيلة مستقصياً ذلك ما أمكن مشيراً إلى ما كان للهجات من أثر في القراءات أو اللغة ونحوها وصرّفتها وأولى اللهجات التي سأذكرها هي لهجة تميم .

١ - ما الحجازية وما التيممية :

تعمل « ما » عمل ليس في لهجة الحجازيين فترفع الاسم وتنصب الخبر بشرطها . أما عند التميميين فلا تعمل ويكون الاسمان بعدها مرفوعين . وجاء في القراءات على لغة الحجازيين : « وما منكم من أحد عنه حاجزين » « ما هذا بشرى » و « ما هن أمهاتهم » وقد قرأ عبد الله بن مسعود على لغة التميميين برفع بشر وقرأ المفضل عن عاصم برفع أمهاتهم على لنتهم . وقد نظرف أحد الشعراء النحاة حيث يذكر لنا أنه طلب من محبوبه الانتساب إلى قبيلته فلم يجبه بصريح القول ، وإنما ذكر له تعبيراً فهم منه

(١) ذكر صفوان بن سالم في المقال السابق وصحة صفوان بن عسال أما سالم خطأ من الطبعة الموسومة لكتاب الاقان .

القبيلة التي ينتسب إليها فقال :

ومفهوم الأعراف قلت له انتسب فأجاب : ما قتل المحب حرام فأجابته « ما قتل المحب حرام » أفادت أنه تيمم لأنه لم يحمل « ما » تنصب الخبر ، ولو قال : ما قتل المحب حراماً ، لفهم منه أنه حجازي .

٢ - لغة تميم وكثير غيرهم عدم الفك في المضارع الضعف المجزوم والأمر : مثل شد ولم يشد قال جرير :

فقض الطرف إنك من نيمر فلا كعبا بلغت ولا كلابا
وفي القرآن قوله تعالى : « من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » في قراءة القراء ما عدا نافعاً وابن عاصم وأبا جعفر الذين قرءوها بفك الإدغام وقوله تعالى « لا تضار والدة بولدها » في قراءة من جمل « لا » ناهية وتضار من الضرر وهم ما عدا ابن كثير وأبا عمرو ويعقوب وابن محيصين واليزيدي الذين جملوا « لا » نافية فرفعوا وأبا جعفر في بعض طرقه الذي جعل تضار من ضار يضير وما عدا الحسن الذي فك الإدغام فقرأها لا تضار . وقوله تعالى : « وإن تعبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً » بالجزم وتشديد الراء رواية أبي زيد عن المفضل عن عاصم ، أما الباقيون فبالرفع أو جعلوا الفم من ضار يضير وجزموا ، وقراها أبي بن كعب بضرركم مجزومة ، بفك الإدغام .

وقد ورد كثير في القرآن على لهجة الحجازيين ، منه قوله تعالى : « ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم » « إن تمسكتم حسنة نسوهم . إن يحسبكم قرح فقد مس القوم قرح مثله . أشدد به أزرى . وانخفض من صوتك . واحلل عقدة من لساني ... » .

وهناك من بني تميم من يحرك آخر الأمر في الضعف بحركة فاء الكلمة فيقول مُدٌ بضم الدال تيمناً للميم وعضٌ بفتح الصاد تيمناً للميم وعزٌ بكسر الزاي تيمناً للميم . إلا أن القبائل العربية جميعها اتفقت على الإدغام في هم وحركت آخرها بالفتح ما عدا قبيلتي كعب وغني فأنهما حركتا بالسكسة غاية ما في الأمر أن الحجازيين استعملوا هم^(١) للفرد والتمني والجمع تذكيراً وتأنيقاً

(١) واستعملت هم في القرآن على لغة الحجازيين « قل هم شهداءكم » و « والفالبن لإخوانهم هم إلينا » .

بكسرون جميع أحرف المضارعة .

٧ - الإمالة لهجة تميم وعامة نجد من قيس وأسد ، وهي الإيماء بالفتحة نحو الكسرة وبالآلاف نحو الياء لأسباب تكفلت بها كتب النحو والقراءات وأشد القبائل حرصاً على الإمالة تميم وفي الحجازيين إمالة قليلة إلا أنها في الإيماء بالفتحة نحو الكسرة وجميع القراء الأربعة عشر أمالوا ما عدا ابن كثير وابن محيصين السكيين . والذين أمالوا لهم شروط خاصة وقد يتفقون وقد يختلفون . والفتح يقابل الإمالة في اصطلاح القراء . وفي القراء من نقل إمالاته كابن عامر وفيهم من نكثت والسكترون منهم من يميل إمالة صغرى كطريق الأزرق عن ورش ومنهم من يميل إمالة كبرى كهمزة والسكاني . وخلف ومنهم من يكون بين الصغرى والكبرى كأبي عمرو ، فثلا همزة والسكاني وخاف أمالوا كل ألف متقابلة عن ياء حيث وقعت في القرآن في اسم أو فعل وكل ألف تأنيث على فعل يضم الفاء وكسرها وفتحها كطوبى والسوى وذكرى ، وألقوا بذلك موسى وعيسى ويحيى وكل ما كان على وزن فمالي بالضم أو الفتح ككاري ونصاري وكل ما رسم في الصحاح بالياء نحو بلى ومتى واستثنوا من ذلك حتى وإلى وعلى وما زكى فلم تمل بحال وأسألوا من الواوي ما كسر أوله أو ضم كالربا والضحا وأمالوا وأمال غيرهم من القراء غير ذلك مما لا يحصره بحثنا الآن .

٨ - النبر والتخفيف في الهمز :

أحرص العرب على تحقيق الهمزة تميم . وأهل الحجاز أكثرهم تخفيفاً قال ابن منظور في لسان العرب « أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون وقف عليها عيسى بن عمر فقال ما أخذ من قول تميم إلا النبر وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا » . وفي الرضى على الشافية « تخفف الهمزة قوم وهم أهل الحجاز ولا سيما قريش » هذا وبعض تميم في الهمزة التي تكون آخر الكلمة وقبلها ساكن عند الوقوف عليها يبقون الهمزة ويتبعون العين الفاء في الرفع والنصب والجر فالبطء بضم فسكون والرد بضم فسكون والخب بفتح فسكون يقولون فيها هذا البطؤ بضم الباء والطاء والردى بكسر الراء والدال والخبأ بفتح الخاء والباء ، ومن تميم من يبق الهمزة ويأق حركتها إلى ما قبلها إذا كان ساكناً وذلك في حالة الوقف فيقولون هذا البَطُؤ بضم الباء والطاء ورأيت البطأ بضم ففتح وصهرت بالبطأ بضم فكسر

بدون إلحاق ضمار وبدو تميم ألحقوا بها ضمير المؤنثة والمثنى والجمع بنوعيه . كما اتفقت قبائل العرب على فك الإدغام في سينة التمجيد التي على وزن أفعل به فيقولون أحبب بمحمد .

٣ - يجوز الإبدال عند التميميين في الاستثناء المنقطع التام النفي ، والمنقطع هو ألا يكون الاسم الذي بعد إلا من جنس ما قبلها ومنه قول الشاعر :

وبنت كرام قد نكحنا ولم يكن لنا خاطب إلا السنان وعامله وقوله :

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليمافير وإلا العيس فالسنان مسفوع وهو بدل من خاطب ، واليمافير مسفوع وهو بدل من أنيس .

قال الزمخشري في قوله تعالى : « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله » إنه استثناء منقطع جاء على لغة بني تميم أما غير التميميين فيوجبون النصب في مثل هذا الاستثناء .

٤ - بمض بني تميم ومثلهم بنو عامر يمسكون إعراب الملحق بجمع المذكر السالم في آخره ويلزمونه الياء وينونونه إذا كان نكرة ولا يحدفون النون في الإضافة وذلك فيما عدا عشرين وأخواتها فإنها تعرب كجمع المذكر السالم وقد جاء عليه قول الشاعر :

دعاني من نجد فأن سنيته لعين بنا شيبا وشيبنا مردا لكن القراءات جاءت على الأكثر : وما أدراك ما عليون الذين جعلوا القرآن عشرين . عن الجهمي وعن الشمال عزين . فلبث في السجدة بضع سنين .

٥ - يربوع وطهية بطنان من تميم يبنون حيث على الفتح دائماً يقولون : حيث التقينا ومن حيث التقينا بفتح التاء فهما وقد قرأ عبيد بن عمير اللثي « ومن حيث خرجت قول وجهك شطر المسجد الحرام » بفتح التاء والمشهور في حيث البناء على الضم وبعض القبائل تعربها .

٦ - لغة تميم ومثلهم في ذلك قيس وأسد وربيعة كسحرف المضارعة إذا كان الهمزة أو التاء أو النون . وقد قرأ زيد بن علي ويحيى بن وثاب وعبيد بن عمير إياك نمبد بكسر النون (١) ، وقرأ يحيى بن وثاب وأبو رزين العقيلي وأبو نهيك « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » بكسر التاء فهما ، أما بعض قبيلة كلب فإنهم

(١) قرأ عبيد بن عمير وزيد بن جبير ويحيى بن وثاب والنخس والأعشى « لتعين بكسر النون » .

في القرآن كثير من الألفاظ قرئت بإسكان وسطها ونحوه
كـرسلنا وخطوات ونهر ولا يمكن حصرها وحصر قرأتها في
مقال ، وقال جرير على طريقة التميميين :

سجدوا بنى العم والأهواز منزلكم

ونهر تيرى فما تعرفكم المغرب
بإسكان الفاء من تعرفكم مع أنه لم يسبقه جازم .

ومما يلحق بهذا الإسكان ضمير النائب والناثبة هو وهي ،
فالتميميون إذا سبقه الواو (١) أو العاء أو اللام أو نون ، يسكنون
الهاء . وهي تجرى بهم . وهو بكل شيء ، علم . فهو خير لكم .
فهي خارية . لهى الحيوان . ثم هو وقد قرأ أبو عمرو والكتاني
ونافع من رواية قالون والحسن واليزيدى بالإسكان وأبو جعفر في
أغلبها بالإسكان ، أما الحجازيون فإبهم يتركون الهاء على حر كته
بدون تسكين وهو ما جرى عليه باقي القراء .

هذا ولا يفوتني أن أذكر أن إسكان الوسط يكون عند
اجتماع ثلاث حركات وأن قبيلة أسد وبعض سكان نجد يشاركون
تيميا في ذلك كما أن بعض القراء لا يسكن الحرف ولا يجره وإنما
يجرى على ما يسمونه اختلاسا وهو الإتيان بأكثر الحركة فتلا
« بارئكم » قرئت بكسر الهمزة وبإسكانها وبإختلاس الكسرة .
١٠ - لفة تميم في « أنا » ضمير التكلم إثبات ألفه وصلا
ووقفا أما غيرهم فإثبات الألف وقفا وقد قرأ نافع (١) وأبو جعفر
مع أنهما مدينان بإثبات الألف في الوصل في مثل قوله تعالى :
« أنا أحبي وأميته » . أما باقي القراء فبالحذف وصلا .
١١ - « هيهات » لفة تميم فيها بناؤها على الكسرة ،
وكذلك قبيلة أسد وبها قرأ أبو جعفر « هيهات » ، أما لفة
الحجازيين فبناؤها على الفتح ، وبها قرأ الباقر .

١٢ - اللذان واللتان وهذان وهاتان لفة تميم فيها تشديد
النون وكسرها وبها قرأ ابن كثير مع أنه مكى أما باقي القراء
فبكسر النون بدون تشديد .
عبد الستار أصم فراج
محرر بالمجمع النوى

(١) - والهمزة أيضا لأنها تحمل الضمير معها كلمة محركة بثلاث حركات
قال الشاعر :

فتمت للطف . مرنا وأرقى نقلت أمي سرت أم عادق حسم
(٢) قرأنا نافع أيضا « إن ليجزني أن تذهبوا به بضم الياء وكسر
الزاي ، وهي لفة تميم من أحزن ، أما باقي القراء فبفتح الياء وضم الزاي
من حزن .

أما الحجازيون فإبهم يحذفون الهمزة وينقلون حر كتهما إلى ما قبلها
إذا كان ساكنا فإذا كانت آخر الكلمة حذفوا الهمزة ووقفوا
على ما قبلها إذا كان ساكنا وفي حالة التنوين في التصويب وقبل
الهمزة ساكن يقبلون التنوين ألفا لا غير ويجركون السكون
قبلها يقولون رأيت بطلا وردا وخبا . والتي قبلها متحرك تدبر
بحركة ما قبلها فالخطأ تقلب ألفا دائما رفعا ونصبا وجرا وأكثر
تقلب واوا دائما وأهني تقلب ياء دائما وقد روى أن قوما من جهينة
جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأسير وهو برعد من البرد فقال
لهم « ادفوه » أراد عليه السلام ادفعوه من البرد فحسبوا أنه يريد
الإجهاد عليه من قولهم دفوت الجريح ادفوه دفوا إذا أجهزت
عليه فذهبوا به وقتلوه فدفع الرسول صلى الله عليه وسلم دينته .

وإن اختلاف القراء في التخفيف والنقل واسع جدا وأكثر
ما يرد التخفيف من طريق القراء الحجازيين كإبن كثير وإبن
محيصين المسكين ونافع وأبي جعفر الدينيين وأبي عمرو التميمي
البصرى لأن مادة قرأته عن أهل الحجاز . ومما يلحق بهذا أن
التميميين يقولون في الأمر من سأل اسأل وقد وردت كثيرا في
رواية حفص عن عاصم : فاسأل الذين يقرءون الكتاب . فاسأل
القرية . فاسأل بنى إسرائيل . فاسأل به خبيرا . واسألوا الله من
فضله . أما الحجازيون فيقولون في الأمر سل ، وقد جاءت في
رواية حفص أيضا « سل بنى إسرائيل . سلهم أبهم بذلك زعيم »
وبعض القراء كإبن كثير ، يقرأ ما جاء في رواية حفص بلفظة
الحجازيين فيحذف الهمزة وينقل حر كتهما إلى ما قبلها فتلا :
واسأل القرية يقرؤها وسل القرية .

٩ - لفة تميم تسكين الوسط المتحرك تخفيفا قال السيوطي
في كتابه الإتيان (١) : قال أبو عبيدة : أهل الحجاز يفخمون
الكلام كله إلا حرفا واحدا وهو عشرة إذا ركبت مع إحدى
واثنتين إلى التسع فإبهم يجزونه ، وأهل نجد يتركون التفخيم في
الكلام إلا هذا الحرف فإبهم يقولون عشرة بالكسر : وقد قرأ
جمهور القراء بسكون الشين وقرأ مجاهد وطلحة وعيسى بن عمر
ويحيى بن وثاب وإبن أبي ليلى والطوعى عن الأعمش بكسر
الشين وذلك في قوله تعالى « اثنتا عشرة عينا » . هذا وقد ورد

(١) وقال السيوطي في موضع آخر من كتاب الإتيان ، إن تسكين
الشين لفة تميم وكسرها لفة الحجاز وفتحها لفة بل . لكن الرواية السابقة
صريحة في أن كسر الشين من عشرة انفردت به تميم . وفي تفسير البحر
ما يؤيد ذلك وفي لسان العرب ما يؤيد ذلك أيضا .